بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ وغفر له وللشارح والسامعين :

[**باب تفسير الإسلام وقول الله تعالىٰ :** ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ **الآية** [آل عمران:٢٠]] .

****

الشرح :

قال المصنف – رحمه الله – : ((**بَابُ تَفْسِيرُ الإِسْلاَمَ**)) ؛ بعد أن بيّن – رحمه الله – في البابين الماضيين فضل الإسلام وعظيم مكانته ووجوب الدخول فيه والمحافظة عليه عقد هذا الباب ليبين به تفسير الإسلام .والتفسير : هو التوضيح والكشف والبيان . فتفسير الإسلام : هو توضيح وبيان حقيقة الإسلام ؛ تفسيره : بيان ما هو ؟ .

وكثير ممن كانوا يأتون النبي ﷺ يسألونه عن الإسلام – وسيأتي بعض هذه الأحاديث عند المصنف رحمه الله الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ والذي هو دين الله ولا يرضىٰ ﷻ ديناً سواه – قد بيّنه النبي ﷺ أتم بيان ، وأوضحه – عليه الصلاة والسلام – أكمل إيضاح ، فلم يدَع لقائل مقالة ؛ بل بيّنه ﷺ وما ترك شيئاً من أمور الإسلام إلا وبيّنها حتىٰ نزل قوله – تعالىٰ –: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] ، وعليه ؛ فإن الإسلام هو دين الله الذي بعث به رسله – عليهم صلوات الله وسلامه – ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران:١٩] أي : الدين

الذي ارتضاه ينحصر في الإسلام الذي بعث به رسله ، فكل عمل وكل طاعة وكل قربة يُتقرب بها ولم تأتِ عن رسول الله ﷺ فهي ليست من الإسلام ؛ الإسلام هو ما جاء به رسول الله ﷺ .

والإسلام : هو الاستسلام ؛ أسلم لله : أي استسلم له مخلِصاً متقرباً إليه – تبارك وتعالىٰ – بما يحبه ويرضاه ﷻ.

أسلم لله ؛ هذا فيه أمران : فيه الإخلاص لله ، وفيه الانقياد .

((أسْلَم)) : أي استسلم وانقاد ، ((لله)) : أي مخلصاً .

فالإسلام لله هو الاستسلام لله ، فيشمل أمرين : الإخلاص لله ، والانقياد لأمره – تبارك وتعالىٰ– ، ولهذا من عبَد غير الله ﷻ ليس بمسلم؛ لأنه لم يسلم لله وإنما أشرك مع الله – تبارك وتعالىٰ – غيره ، وكذلك من استكبر ولم يخضع لله ﷻ فهذا ليس بمسلم .

أصل الإسلام في القلب ، وينبني علىٰ علامات القلب عمل الجوارح كالخضوع والانقياد والتذلل والقيام بالعبودية لله – تبارك وتعالىٰ – .

وقد عرّف المصنف – رحمه الله – في بعض رسائله[1] الإسلام بتعريف جامع فقال : " الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك " هذه هي حقيقة الإسلام ؛ استسلام لله ، وهذا فيه الإخلاص لله ﷻ ، والانقياد له بالطاعة وذلك بلزوم أمره – تبارك وتعالىٰ– وطاعته فيما أمر عباده به ، والخلوص من الشرك والبراءة منه بالبعد عنه والحذر منه ومن أهله .

فهذه هي حقيقة الإسلام ، ومن لم يأت بهذه الحقيقة فليس بمسلم ، المسلم هو المستسلم المنقاد لله ﷻ البريء من الشرك البعيد عنه ، ولهذا – كما قدمت – من عبَد مع الله غيره ليس بمسلم ، ومن استكبر عن عبادة الله تبارك وتعالىٰ ليس بمسلم ، فالمسلم هو المستسلم لله الذي أسلم وجهه لله بالإخلاص للمعبود ، والمتابعة للرسول صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) رسالة الأصول الثلاثة : الأصل الثاني بلفظ ((وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله)) .

وقد أورد رحمه الله أولاً قول الله ﷻ : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ ؛ ساق هذه الآية ليبين بها تفسير الإسلام وحقيقته ، وهذه الآية يسبقها قول الله ﷻ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآَيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ ، قال : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ ﴾: أي إن جادلوك في هذا الدين الذي جئت به وبُعثت به وما تدعوا إليه من التوحيد والإخلاص لله رب العالمين وارتابوا مما جئت به ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ ؛ وهذه حقيقة الإسلام ، وهو موضع الشاهد من الآية للباب .

﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ هذه الكلمة تجمع أمران كما قدمت ؛ الأول : الاستسلام لله بالانقياد والطاعة والاستجابة والإذعان والامتثال. ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾: أي مخلصاً لا أجعل مع الله شريكا .

فالإسلام دين الله – تبارك وتعالىٰ – الذي يتقرب به إليه ﷻ ، فمن لم يتقرب لله ﷻ بالإسلام فليس بمسلم ، ومن تقرب بالإسلام لغير الله أو جعل مع الله شريكاً فيه فليس بمسلم ، هذه حقيقة الإسلام : استسلام الله ؛ فمن ترك الإسلام وترك الاستسلام لله فليس بمسلم ، ومن جعل مع الله غيره في استسلامه فليس بمسلم ، فالإسلام : استسلام لله ﷻ وحده بإخلاص الدين له والانقياد له والتذلل بين يديه .

قال ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ ؛ هذه حقيقة ديني وحقيقة ما جئت به هو إسلام الوجه لله –تبارك وتعالىٰ– .

﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ ؛ ومن اتبعن : أي يقول بقولي ، أتباعي مثلي وعلىٰ منهاجي وعلىٰ طريقتي ، فأنا ومن أتبعني أسلمنا وجوهنا لله ﷻ ، مثلها قول الله ﷻ ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨] ؛ أي أنا وأتباعي علىٰ هذا النهج وعلىٰ هذا السبيل وعلىٰ هذا الاستسلام لله – تبارك وتعالىٰ – .

الشاهد : أن الآية فيها تفسير للإسلام وبيان لحقيقته ؛ بأنه استسلام العبد لله ، وإسلام الوجه لله خضوعاً وتذللاً ورغباً ورهباً وقياماً بطاعة الرب ﷻ مخلصاً له الدين .

قال رحمه الله :

[وفي الصحيح عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((الْإِسْلَامُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)) [٢]] .

****

الشرح :

ثم أورد حديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**)) ؛ فسّر – عليه الصلاة والسلام – الإسلام بهذه الخمس ، وتفسيره للإسلام بهذه الخمس لا لأن الإسلام منحصرٌ فيها ؛ ولكن لأن هذه الخمس هي مباني الإسلام ، فالإسلام عليها يبنىٰ كما في حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : ((بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ))[٣] وذكر هذه الأمور الخمسة وهي تعرف بمباني الإسلام .

ومعنىٰ كونها مباني الإسلام : أي أن قيام الإسلام وبناؤه عليها ؛ فكما أن البيت لا يُبنىٰ ولا يقوم إلا علىٰ عماده ، فالإسلام لا يقوم إلا علىٰ هذه المباني ؛ فهي أعمدة الإسلام ومبانيه التي عليها قيامه . فتفسير النبي – عليه الصلاة والسلام – للإسلام بهذه الأمور الخمسة لأنها هي الأساس والأصل وهي التي عليها يبنىٰ دين الله ﷻ الإسلام .

---

(٢) أخرجه مسلم (٨) .

(٣) أخرجه البخاري (٨) ، مسلم (١٦) .

وبدأها بالشهادتين – شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ – وهي أساس الأسس وأول ما يُدخل به في هذا الدين ؛ الدين كله – الصلاة والصيام والحج وكل طاعة – يبنىٰ علىٰ الشهادتين فهي أساس الدين وأصله : الشهادة لله ﷻ بالوحدانية ، والشهادة لنبيه ﷺ بالرسالة .

قال : ((**تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)) ؛ تشهد : أي تُقر وتعلن وتعترف وتخبِر ، كل هذه معاني للشهادة .

((**أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)) : أي لا معبود بحق سواه ، فهي كلمة مبنية علىٰ ركنين وقائمة علىٰ أصلين : النفي العام في أولها ، والإثبات الخاص في آخرها . فـ((لا إله))نفي العبودية عن كل من سوىٰ الله ، و ((إلا الله)) إثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده ، وهذه حقيقة التوحيد : نفيٌ للعبودية عن كل من سوىٰ الله ، وإثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده ﷻ ، فلا يكون المرء موحداً إلا بهذين الركنين : النفي والإثبات ؛ فمن نفىٰ ولم يثبت فهو ليس بموحد بل ملحد ، ومن أثبت ولم ينفِ فهو ليس بموحد بل مشرك ، وحقيقة التوحيد قائمة علىٰ النفي والإثبات ؛ نفي العبودية عن كل من سوىٰ الله ، وإثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده ، ولا يكون موحداً إلا من عرف العبادة فنفاها عن كل من سوىٰ الله وأثبتها لله ﷻ وحده، وخضع وذل لله ﷻ بالقيام بهذه العبادة لله ﷻ كما أمر وكما شرع .

((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)) : أي لا معبود بحق سوىٰ الله . وعبادة كل من سوىٰ الله مهما علا مقامه ومهما ارتفع شأنه فهي عبادة باطلة ، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢] ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج:٦] ، فالعبادة الحق عبادة الله ، و أما عبادة من سواه من كان ومهما كان فهي عبادة باطلة.

((**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**)) ؛ والشهادة لنبينا ﷺ بالرسالة قرينة الشهادة لله بالوحدانية ؛ بل أن الله – تبارك وتعالىٰ – لا يقبل شهادة من شهد له بالوحدانية حتىٰ يشهد لنبيه ﷺ

بالرسالة، ولهذا جاءت مقترنة ويقال لهما الشهادتان ، وهما متلازمتان لا تُقبل واحدة منهما إلا بالأخرىٰ ؛ الشهادة لله بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة .

ومن شهد له – عليه الصلاة والسلام – بالرسالة ، فإن مقتضىٰ هذه الشهادة طاعته ﷺكما قال الله تعالىٰ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ [النساء:٦٤] ، ولهذا فإن حقيقة الشهادة له ﷺ بالرسالة : طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر ، والانتهاء عما نهىٰ عنه وزجر ، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع .

من شهد له ﷺ بالرسالة ، فإن الواجب عليه أن يطيعه في أوامره ، وأن ينتهي عن نواهيه ، وأن يصدق الأخبار التي جاء بها ، وهذه الأمور الثلاثة هي خلاصة ما جاء به – عليه الصلاة والسلام – ، جاء بأوامر وجاء بنواهي وجاء بأخبار ؛ فمن قال أشهد أنه رسول الله ﷺ فعليه أن يطيعه في أوامره ، وأن ينتهي عن نواهيه ، وأن يصدقه في أخباره ﷺ ، ولهذا عرّف المصنف رحمه الله شهادة أن محمداً رسول الله في بعض رسائله(٤) بقوله : " طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، والانتهاء عما نهىٰ عنه وزجر ، وألا يُعبد الله إلا بما شرع " .

قال : ((**وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ**)) ؛ أي تقيم الصلاة التي كتب الله عليك . والصلاة المكتوبة هي خمس صلوات في اليوم والليلة افترضها الله ﷻ علىٰ عباده وأمرهم بإقامتها ، وأخبر نبينا ﷺ بأن ((مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ))(٥) ، وهؤلاء رؤساء الكفر وأعمدة الباطل.

---

(٤) رسالة الأصول الثلاثة : الأصل الثاني .

(٥) رواه الإمام أحمد (٦٢٨٨) ، ابن حبان في صحيحه (١٤٦٧) ، الدارمي (٢٧٢٨) ، الطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ٢٢٩) بإسناد صحيح، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩٢) وقال : رواه أحد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد ثقات ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٨٥١) ، ضعيف الترغيب .

فالصلاة كما وصفها النبي ﷺ في حديث آخر ((عماد الدين))[٦] ، وقال : ((الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ))[٧].

وعندما يُسأل أهل النار ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[المدثر:٤٢-٤٣] .

فالصلاة شأنها في الإسلام عظيم ، بل جاء عن النبي ﷺ أن أول ما يُسأل العبد عنه يوم القيامة صلاته[٨] ، وجاء فيها نصوص متكاثرة تدل علىٰ عظم فضلها وعظم مكانتها، بل قال بعض السلف: " من أراد أن ينظر إلىٰ حظه في الإسلام فلينظر إلىٰ حظه من الصلاة " لعظم مكانة الصلاة في الإسلام ، ولهذا ذكر النبي – عليه الصلاة والسلام – الصلاة عقب الشهادتين مباشرة ، وهذه الأركان في الحديث رُتِّبت حسب أهميتها ومكانتها؛ فأعظم شيء في الإسلام الشهادتان ثم الصلاة التي هي عماد الدين وأعظم أركانه بعد الشهادتين ، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة كتبها الله – تبارك وتعالىٰ – علىٰ عباده وجعل فيها صلاحهم وفلاحهم وقرة عينهم ، وسميت صلاةً : لأنها صلة بين العبد وبين ربه يقرب من الله ويناجي ربه ويتذلل بين يديه راكعاً ساجداً خاضعاً متذللاً منكسراً متطهراً ذاكراً شاكراً ؛ عبادة عظيمة جليلة وقربة لله – تبارك وتعالىٰ – من أعظم القرب وأجلها .

قال : ((**وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ**)) ؛ والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله ، وكثيراً ما تأتي في القرآن مقرونة بالصلاة ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾، ﴿ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ في آيات كثيرة في كتاب الله ﷻ . والزكاة جزء يسير من المال افترضه الله ﷻ علىٰ الأغنياء كما قال – عليه الصلاة

---

(٦) رواه البهقي في شعب الإيمان ، وضعّفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٦٦) .

(٧) رواه الترمذي (٢٦٢١) ، النسائي (٤٦٣) ، ابن ماجه (١٠٧٩) ، الإمام أحمد (٥/ ٣٤٦) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١٤٣).

(٨) رواه أبو داود (٨٦٤) بلفظ ((إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الصَّلَاةُ)) ، الترمذي (٤١٣) ، النسائي (٤٦٥) ، ابن ماجه (١٤٢٦) بلفظ ((إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ)) ، الإمام أحمد (٣٧٧) .

والسلام – : ((صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ))[٩]. والزكاة ليست واجبة علىٰ كل مسلم ؛ وإنما هي واجبة علىٰ من أتاه الله مالاً بلغ النصاب ، ولا يُخرج ماله كله ولا نصفه ولا ثلثه ، وإنما يخرج جزءً يسيراً منه ، وسميت زكاة : لأن فيها تزكية للمال ، وتزكية لصاحب المال ، وتزكية أيضا للمجتمع الذي تخرج فيه الزكاة وذهاب للشحناء والبغضاء والعداوات بين الناس .

((**وَتَصُومَ رَمَضَانَ**)) وهو شهر واحد في السنة كتب الله ﷻ علىٰ عباده صيامه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣] ، وهي عبادة عظيمة يتقرب بها المسلم إلىٰ الله – تبارك وتعالىٰ – ، وهي سر بين الصائم وبين ربه ﷻ ، ولهذا جاء في الحديث القدسي يقول الله ﷻ: ((الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ))[١٠] ؛ لأنه سر بين الصائم وبين الله ﷻ ، يمتنع فيه الصائم عن طعامه وشرابه وشهوته من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس في أيام شهر رمضان طالبًا بذلك تقوىٰ الله ﷻ ، متقربا بذلك إلىٰ الله ﷻ .

ثم ذكر فريضة الحج ، قال ((**وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**)) ؛ والحج فريضة من فرائض الإسلام ، قال الله – تعالىٰ – ﴿ وَلِلَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران:٩٧] ، فهي فريضة من فرائض الإسلام وليس مفروضًا علىٰ كل أحد ؛ وإنما هو مفروض علىٰ المستطيع ؛ وهو الذي يجد الزاد والراحلة ، وهو لا يجب علىٰ الناس في كل عام ؛ وإنما هو فريضة في العمر

(٩) رواه البخاري (١٣٩٥) ، أبو داود (١٥٨٤) ، الترمذي (٦٢٥) .

(١٠) رواه البخاري (١٨٩٤) ، مسلم (١١٥١) ، النسائي (٢٢٢١) .

كله مرة واحدة ((الْحَجُّ مَرَّةٌ فَمَا زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ))(١١) فالحج فريضة وركن من أركان الإسلام ، ولا يجب علىٰ الناس إلا مرة واحدة في الحياة كلها وفي العمر جميعه .

فهذه مباني الإسلام ، وإذا تأملت هذه المباني :

- الشهادتان : يبنىٰ عليها الدين كله .

والصلاة : أعمال ميسرة في اليوم والليلة خمس مرات ، وأيضا هي علىٰ الاستطاعة ((صَلِّ قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ))(١٢) ، لها أوقات محددة ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء:١٠٣] ، يؤدي المسلم كل صلاة في وقتها علىٰ قدر استطاعته ((وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))(١٣) .

- والزكاة : لا تجب إلا علىٰ الأغنياء ، ومن بلغ ماله النصاب يُخرج منه جزء قليلا ، وفيه تزكية للمال ((مَانَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ))(١٤) بل تزده ، وفيها تزكية للمال وبركة ونماء .
- والصيام : فرض علىٰ الناس شهر واحد في السنة ، من أطاقه صام ، ومن كان غير مطيقاً لمرضه أو لكبره فهو معذور ؛ المريض لا يصوم وإنما يؤجل الصيام حتىٰ يشفىٰ من مرضه ، ومن كان غير قادر علىٰ الصيام لكبره وهرمه لا يصوم وإنما يُطعم عن كل يوم مسكين .
- والحج فُرض في العمر كله مرة ، وأيضا ليس علىٰ كل أحد وإنما علىٰ المستطيع ﴿ وَلِلَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾.

---

(١١) رواه الدارمي في السنن .

(١٢) رواه البخاري (١١١٧) ، أبو داود (٩٥٢) ، الترمذي (٣٧٢) ، ابن ماجه (١٢٢٣).

(١٣) رواه الإمام أحمد وابن حبان وأبو يعلىٰ والحميدي ، وورد عند البخاري (٧٢٨٨) بلفظ ((وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)) ، وعند مسلم (١٣٣٧) بلفظ ((وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)) .

(١٤) رواه مسلم (٢٥٨٨) ، الترمذي (٢٠٢٩) ، أحمد ، ابن حبان .

فإذا قرأت هذه الأركان التي يبنىٰ عليها الدين ظهر لك أن دين الله ﷻ دين ميسر لا عنَت فيه ولا مشقة ،كما قال نبينا – عليه الصلاة والسلام– ((إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ))[١٥] ؛ فعقائده صحيحة قويمة تقبلها العقول السليمة وتتلقاها الفِطَر القويمة بانشراح ، وأعماله أعمال يسيرة وسهلة لا مشقة فيها ولا عنت ، يدعو إلىٰ كريم الأخلاق وعالي الآداب ورفيعها ، ولهذا سيأتي معنا ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[١٦] ؛ فهذه حقيقة الإسلام وهذه حقيقة الدين ؛ دين سمح ، وقد مر معنا قريبا ((بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ))[١٧] فهو دين سمح ودين ميسر فيه رفعة الإنسان وفلاحه في الدنيا والآخرة .

إذن هذا الحديث حديث عمر بن الخطاب ومثله حديث ابنه – ابن عمر – فيه تفسير للإسلام بأعظم شيء فيه وهي هذه الأسس الخمس والمباني الخمسة التي يبنىٰ عليها الإسلام .

عرفنا أن الإسلام: الاستسلام لله وهو الانقياد لله – تبارك وتعالىٰ – مخلِصاً ومطيعاً له ﷻ ، ففسره النبي –عليه الصلاة والسلام – باستسلام مخصوص ذكر فيه مباني الإسلام الخمسة خاصة لأنها أعظم شيء في الإسلام ؛ لا أن الإسلام هو هذه الخمس فقط ، ولهذا يأتي في أحاديث أخرىٰ ذِكر أمور أخرىٰ تدخل في الإسلام ويشملها اسمه ، مثل الحديث الذي ساقه المصنف ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) ، ومثل قوله – عليه الصلاة والسلام – ((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ))[١٨] ، وأحاديث كثيرة وردت عن النبي ﷺ تبين ما يشمله اسم الإسلام من انقياد وامتثال وطاعة لله ﷻ .

---

(١٥) رواه النسائي (٥٠٣٧) ، وعند البخاري (٣٩) بلفظ ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ)) .

(١٦) رواه البخاري (١٠) ، ومسلم (٤١) ، والترمذي (٢٦٢٧) ، والنسائي (٤٩٩٩).

(١٧) رواه الإمام أحمد في المسند ، والطبراني في المعجم الكبير .

(١٨) رواه الترمذي (٢٣١٧) ، ابن ماجه (٣٩٧٦) ، وأحمد ، ومالك .

قال رحمه الله :

[وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))].

****

الشرح :

ثم أورد المصنف حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : ((**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**)) ؛ عرفنا أن حقيقة الإسلام هي استسلام العبد لله وذلك بخضوعه له مخلصاً منقاداً ممتثلاً، ولا يكون ذلك إلا بطاعة الله ﷻ :

١) بالقيام بحقوقه هو ؛ وهي العبادة المحضة التي أمر العباد بالقيام بها من صلاة وصيام وزكاة وحج ، هذه حقوق افترضها الله ﷻ علىٰ عباده ؛ التقرب إلىٰ الله ﷻ بما شرع وبما أمر عباده أن يتقربوا به من فرائض واجبات.

٢) القيام بحقوق العباد ؛ من بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلىٰ الناس ، والبعد عن أذاهم ، كل ذلك يُعدّ عبادة من جهة أنه طاعةٌ لله ، ويعد إسلاماً لأن فيه استسلام لله بامتثال أمره للقيام بهذه الحقوق فهي تسمىٰ عبادة من هذه الجهة ؛ وإلا فإن العبادة المحضة هي التقرب إلىٰ الله ﷻ بالعبادات التي يخضع فيها العبد لله من صلاة وصيام ودعاء وغير ذلك من القُرَب .

قال : ((**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**)) ؛ عرفنا أن من الإسلام القيام بحقوق العباد ، وأعظم ما يكون في ذلك أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، وأن تأتي إليه الشيء الذي تحب أن يؤتىٰ إليك ، يقول عليه الصلاة والسلام ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ[١٩] وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ[٢٠]))[٢١] ، فالقيام بحقوق

(١٩) حق الله .

العباد من الإسلام ؛ أي من الاستسلام لله ، من الطاعة لله ، لأن الله أمر بذلك ودعا عباده إلىٰ ذلك ؛ أن تأتي إلىٰ الناس الشيء الذي تحب أن يؤتىٰ إليك وأن تحب لهم ما تحب نفسك .

وهنا قال ((**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**)) وهذه أقل درجة تُنتظر من المسلم في إسلامه فيما يتعلق بحقوق العباد ؛ أن يسلموا من لسانه ويده ، وإلا الإسلام يتناول مقامات أعظم من كف الأذىٰ ، يتناول: إعانة المسلم ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، والإحسان إلىٰ المحتاج ، وإغاثة الملهوف ، إلىٰ غير ذلك من أعمال الإسلام التي دعا إليها وأمر بها في آيات وأحاديث عديدة .

فقوله ((**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**)) هذه أقل درجة تتعلق بحقوق العباد ، من لم يقم بحقوق العباد من البر والصلة والإحسان والوفاء وغير ذلك ، فلا أقل من أن يسلم المسلمون من لسانه ويده ؛ أن يكف آذاه عن الناس .

قال ((**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**)) أي : سلموا من آذاه القولي والفعلي ؛ القولي : باللسان ، والفعلي : باليد أو غيرها من أعضاء الإنسان .

---

(٢٠) حقوق العباد .

(٢١) رواه مسلم (١٨٤٤).

قال :

[عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ﷺ أنه سأل الرسول ﷺ عن الإسلام فقال : ((أن تسلم قلبك لله ، وأن تولي وجهك إلىٰ لله ، وأن تصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة))[٢٢] رواه أحمد] .

****

الشرح :

ثم أورد المصنف – رحمه الله – هذا الحديث العظيم في بيان حقيقة الإسلام ، وهو عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سأل الرسول ﷺ عن الإسلام ، قبل سؤاله للنبي – عليه الصلاة والسلام – عن الإسلام وعن حقيقة الإسلام قال كلمة عجيبة يتبين الواقع الذي كان يعيش الناس عليه بسبب الدعاية المغرضة ضد دعوة النبي ﷺ ، فيقول والد حكيم لما وصل إلىٰ النبي – عليه الصلاة والسلام – : ((والله يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَتَيْتُكَ حَتَّىٰ حَلَفْتُ عَدَدَ أَصَابِعِي هَـذِهِ أَنْ لَا آتِيَكَ))[٢٣] لماذا هذا الحلف ؟ بسبب ما سمع من دعاية حوله؛ ناس يقولون مجنون، وناس يقولون ساحر ، وناس يقولون كاهن ، دعايات مغرضة بُثت حوله لصد الناس عن دينهم ، فلما سمع عن هذه الدعايات حلف عدد أصابعه ألا يذهب إليه ، ولهذا لما وصل إلىٰ النبي – عليه الصلاة والسلام – قال : ((والله يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَتَيْتُكَ حَتَّىٰ حَلَفْتُ عَدَدَ أَصَابِعِي هَذِهِ أَنْ لَا آتِيَكَ ، فَبِالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا الَّذِي بَعَثَكَ بِهِ ؟)) اقتنع أنه بعث – عليه الصلاة والسلام – بالحق فسأله قال : ((مَا الَّذِي بَعَثَكَ بِهِ؟ قَالَ الْإِسْلَامُ)) ؛ بعثني الله بالإسلام . ((قَالَ وَمَا الْإِسْلَامُ ؟)) يعني سأل النبي – عليه الصلاة

(٢٢) أخرجه أحمد (١٩٥٢٠) بلفظ ((أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَأَنْ تُوَجِّهَ وَجْهَكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَتُصَلِّيَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ)) وحسنه الألباني في تحقيقه لكتاب الإيمان لابن تيمية ص٢٠٩ .

٢٣ أخرجه أحمد في المسند ، والطبراني في المعجم الكبير ، وابن حبان في صحيحه بدون لفظ ((والله)) .

والسلام – عن الإسلام ، فعرّفه بهذه الكلمات ، قال ((أن تسلِم قلبك لله ، وأن تولي وجهك إلىٰ لله ، وأن تصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة)) تأمل تفسير الإسلام العظيم هنا ، وأيضا سيأتي في الحديث الذي بعده .

قال ((**أن تسلم قلبك لله ، وأن تولي وجهك إلىٰ لله ، وأن تصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة**)) ؛ فسر – عليه الصلاة والسلام – الإسلام باستسلام القلب ؛ وهو خضوع القلب وانقياده وإذعانه لله ﷻ ، وبالأعمال الظاهرة ؛ أن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة، فالنبي ﷺ فسر الإسلام هنا باستسلام القلب لله ومع هذا العمل الظاهر قال : ((تصلي الصلاة المكتوية وتؤدي الزكاة المفروضة)) .

قوله ((**أن تسلم قلبك لله**)) أي : أن تجعل قلبك مسلماً لله ﷻ ، ويكون القلب مسلما لله : بانقياده وإذعانه لله ﷻ ، وقبوله لدين الله ، ورضاه به ، وإقباله عليه ، وانشراح الصدر له ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [الزمر:٢٢] ؛ ينشرح الصدر ويُقبل علىٰ الإسلام ، ويحب الدين وأوامر الدين ، ويذعن وينقاد .

((**أن تسلم قلبك لله**)) ؛ و" لله " تتكرر معنا تنبيه علىٰ الإخلاص ؛ أي لله وحده دون جعل شريك معه في ذلك .

((**وأن تولي وجهك إلىٰ الله**)) كما قال ﷻ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ [الروم:٣٠] تقيم وجهك لله وذلك بإقبالك علىٰ أوامر الله ﷻ ، وتوجهك إليها ، وامتثالك لها ، وطواعيتك لربك ﷻ فيما أمرك به مقبِلا عليه ﷻ وعلىٰ دينه غير معرِض ولا مدبر.

((**وأن تصلي الصلاة المكتوبة**)) : أي التي افترضها الله – تبارك وتعالىٰ – علىٰ عباده .

((**وتؤدي الزكاة المفروضة**)) ؛ فهذا هو الإسلام : استسلام للقلب ، وانقياد للجوارح .

قال رحمه الله :

[وعن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه أنه سأل الرسول ﷺ ما الإسلام ؟ قال : ((أن تسلم قلبك لله ، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك)) قال : أي الإسلام أفضل ؟ قال : ((الإيمان)) ، قال : وما الإيمان؟ قال : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت))(٢٤)]

****

الشرح :

ثم أورد حديث أبي قلابة ((**عن رجل من أهل الشام عن أبيه**)) والحديث له شواهد صح بها وثبت عن النبي – عليه الصلاة والسلام – .

((**أنه سأل الرسول ﷺ ما الإسلام ؟ قال : أن تسلم قلبك لله ، ويسلم المسلمون من لسانك ويد**))؛ فجمع في هذا الحديث ما تقدم في الأحاديث الماضية من أن الإسلام يشمل حقوق الله ﷻ وحقوق العباد ، فقوله ((**أن تسلم قلبك لله**)) ؛ اقتصر علىٰ إسلام القلب لله ﷻ ولم يذكر الصلاة والزكاة وبقية الأركان وحقوق الله – تبارك وتعالىٰ – لأن إسلام القلب لله يقتضي القيام بحقوقه ﷻ ، كما قال – عليه الصلاة والسلام – ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))(٢٥)، فإذا استسلم القلب لله انقادت الجوارح بالصلاة والصيام وسائر الطاعات .

فقوله ((**أن تسلم قلبك لله**)) تنبيه علىٰ حقوق الله ﷻ ، وقوله (**ويسلم المسلمون من لسانك ويدك**) تنبيه علىٰ القيام بحقوق العباد . وعليه ؛ فإن الإسلام هو الانقياد لله ﷻ بالقيام بحقوقه وحقوق عباده ، قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل لما بعثه إلىٰ اليمن ((اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ

---

(٢٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان .

(٢٥) رواه البخاري (٥٢) ، مسلم (١٥٩٩) ، ابن ماجه (٣٩٨٤) .

الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))[٢٦]، ويأتي في أحاديث كثيرة جداً الجمع بين حقوقه ﷻ وحقوق عباده ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء:٢٣] ثم ذكر بعدها حقوق للعباد عديدة أضافها كلها إلىٰ حقه ﷻ ، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان:٦٨] ذكر حقه وحقوق العباد . وقال ﷺ في الحديث ((إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ : لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا))[٢٧] ذكر حقه – تبارك وتعالىٰ – وحقوق عباده.

وقوله – عليه الصلاة والسلام – ((**يسلم المسلمون من لسانك ويدك**)) هذا يتناول التحذير من جميع أنواع الأذىٰ وصنوف الكبائر التي حرّمها الله ﷻ علىٰ عباده : الكذب ، والغش ، والسب ، والشتم ، واللعن ، والدخول في أعراض الناس ، والسرقة ، وانتهاك الأعراض ، كلها داخلة تحت قوله ((**أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك**)) ؛ يسلمون من أذىٰ الإنسان القولي والفعلي ، فلا يؤذي أحداً لا بقول ولا بفعل .

ثم قال : ((**قال : أي الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان**)) كنا عرفنا فيما سبق أن للإسلام إطلاقان : إطلاق يراد به الدين كله ، وإطلاق يراد به الأعمال . لأن الدين إيمان وعمل ، والعمل هو الإسلام – الاستسلام– ، فتارة يطلق الإسلام ويراد به الدين كله، كما قال ﷻ:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾[آل عمران:١٩] فالإسلام الدين كله .

((**فقال : أي الإسلام أفضل ؟**)) يعني أي الدين أفضل ؟ فالإسلام المراد به هنا الدين كاملاً بعقائده وأعماله ولهذا قال ((**أي الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان**)) . فقوله ((**أي الإسلام أفضل ؟**

---

(٢٦) رواه الترمذي (١٩٨٧) .

(٢٧) رواه الإمام أحمد في المسند .

)) المراد بالإسلام عموم الدين ، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾ فهذا يتناول العقيدة والعمل .

((**فقال : أي الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان ، قال وما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت**)) ؛ وهذه الأمور التي ذكرها النبي – عليه الصلاة والسلام – هنا هي أركان الإيمان ، وعليها بناء الأعمال التي هي استسلام لله بالقيام بالعبودية والطاعة والامتثال ، قال الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم:٢٤] ، فالإيمان والدين له أصل ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))[٢٨]؛ فهذه أصول وأركان للإيمان يبنىٰ عليها الدين . ولهذا لا يُقبل أي عمل – لا صلاة ولا صيام ولا حج ولا غير ذلك من الطاعات – إلا إذا كانت قائمة علىٰ هذه الأركان ، قال الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾[المائدة:٥] ، وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإسراء:١٩] ، فلا يُقبل السعي وهو العمل إلا بالإيمان ، وقال ﷻ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[النحل:٩٧] ، فالإيمان أساس لا تُقبل الأعمال إلا به ، ولهذا لما قال ((**أي الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان ، قال وما الإيمان ؟**)) فذكر هذه الأركان .

وهذا تأخذ منه فائدة : أن أعمال الإسلام وفرائضه لا تكون مقبولةً عند الله ﷻ إلا إذا وُجد في القلب إيمانٌ يصحِّح الإسلام ، فإن لم يوجد في القلب إيمان لا تُقبل الأعمال الظاهرة مجردة عن الإيمان ، ولهذا المسلم هو من جاء بأعمال الإسلام الظاهرة وعنده من الإيمان القلبي ما يصحح إسلامه ، أما من جاء بأعمال الإسلام الظاهرة ولم يترك منها عمل دون أن يكون في قلبه إيمان يصحح هذه الأعمال فلا تقبل منه وإن كثرت ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ

(٢٨) أخرجه مسلم (٨) .

وَبِرَسُولِهِ ﴾ [التوبة:٥٤] فانتفاء الإيمان القلبي مانع من قبول العمل الظاهر ، فالمسلم : هو الذي جاء بأعمال الإسلام الظاهرة وعنده من الإيمان القلبي ما يصحح إسلامه ، فإن انتفىٰ الإيمان القلبي المصحح للإسلام لم تقبل الأعمال كما هو واضح في الآية الكريمة ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، ثم إذا تمكنت أمور الإيمان وخصاله من القلب يرتقي القلب إلىٰ درجة الإيمان كما سبق بيان ذلك .

((قال : وما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت)) ؛ بقي الإيمان بالقدر ، والإيمان بالقدر جاء ذكره في حديث عمر ، قال جبريل للنبي – عليه الصلاة والسلام – : ((فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))[٢٩] .

فالقدر تارة يذكر مع هذه الأصول ، وتارة لا يذكر ، فمن الأمثلة علىٰ ذكره : حديث عمر ، ومن الأمثلة علىٰ عدم ذكره : هذا الحديث ، وكذلك قول الله – تعالىٰ – ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة:١٧٧] ، وكذلك قوله ﷻ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦] ، فذكر هذه الخمس ولم يذكر الإيمان بالقدر .

وعدم ذكر الإيمان بالقدر في بعض النصوص لا إشكال فيه لأنه داخل في الإيمان بالله ؛ فمن الإيمان بالله الإيمان بقدره وتقديره للأمور ، قال الإمام أحمد : " القدر قدرة الله " ، ولا يؤمن من عبَد الله حتىٰ يؤمن بالقدر ، قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : " القدر نظام التوحيد ؛ فمن آمن

(٢٩) أخرجه مسلم (٨) .

بالله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده" فلا يكون مؤمناً بالله من لا يؤمن بقدر الله – تبارك وتعالىٰ – ، ولا يكون أيضا المرء مؤمنا بالقدر حتىٰ يؤمن بمراتبه الأربعة :

١) علم الله ﷻ الأزلي بما كان وما سيكون.

٢) وكتابته – تبارك وتعالىٰ – ذلك في اللوح المحفوظ .

٣) ومشيئته ﷻ النافذة.

٤) وإيجاده للمخلوقات وخلقه لها.

فهذه مراتب القدر : علم ، وكتابة ، ومشيئة ، وإيجاد ، وكل هذه من أوصاف الرب ﷻ وأفعاله ، وهذا كله يوضح لنا أن الإيمان بالقدر من الإيمان بالله ، ولهذا – كما قلت – أحيانا يُذكر في بعض النصوص ، وأحيانا لا يذكر لدخوله في الإيمان بالله ﷻ .

- والإيمان بالله : هو أصل أصول الإيمان وإليه ترجع ، ولهذا قال في الآية ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ﴾ ؛ فأركان الإيمان كلها راجعة إلىٰ هذا الأصل العظيم .

والإيمان بالله : هو الإيمان بوحدانية الله – تبارك وتعالىٰ – في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، ودين الإسلام سمي توحيداً : لأن مبناه علىٰ الإيمان بوحدانية الله في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، فمن لم يوحِّد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته فليس بمسلم ، لأن مبنىٰ الإسلام علىٰ التوحيد ، والتوحيد هو الإيمان بوحدانية الله ﷻ في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

- والإيمان بالملائكة : وهذا الأصل الثاني من أصول الإيمان ، وهو الإيمان بهذا الخلق العظيم وهذا الجند الكبير والعديد الذي خلقه الله ﷻ ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١] ، والإيمان بكل ما يتعلق بهم مما جاء في الكتاب والسنة من أسماء أو أعداد أو وظائف أو أوصاف إجمالا فيما أُجمِل وتفصيلاً فيما فُصِّل – هذه أمور أربعة انتبه لها – .

- والإيمان بالكتب : أي المنزلة ﴿ وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ [الشورى:١٥] نؤمن بها ما علمناه منها وما لم نعلمه ، نؤمن بأنها كتب هداية ، وأنها كلام الله ﷻ وتنزيله ، وأن فيها صلاح وفلاح من أنزلت عليهم تلك الكتب ، وأنها خُتمت بكتاب الله ﷻ القران الكريم .
- والإيمان بالرسل : الإيمان بأنهم بُعثوا وأرسلوا من الله حقا ، أرسلهم الله ﷻ ، وأنهم بلّغوا البلاغ المبين ، ونصحوا أممهم ، وما تركوا خيراً إلا دلّوا أممهم عليه ، ولا شراً إلا حذّروهم منه ، والإيمان بأنهم خُتِموا بمحمد ﷺ ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب:٤٠] ، قد قال – عليه الصلاة والسلام – ((أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي أنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي))[٣٠] .
- ((**والبعث بعد الموت**)) ؛ في الحديث الآخر قال ((وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) .

البعث بعد الموت : أي أن الناس يقومون لرب العالمين ويُبعثون من قبورهم ، من يُدفن لا يبقىٰ في قبره أبد الآباد ، بل سيأتي يوم يُبعث الناس لرب العالمين ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين:٦] ؛ يقومون من قبورهم .

وقيام الناس لرب العالمين ليس مختصاً بمن مات ودُفن في قبر ، هذا الغالب من أحوال الناس أنهم يموتون ويدفنون ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ [عبس:٢١] لكن منهم من يموت ولا يُقبر ؛ منهم من يموت وتأكله السباع ويخرج من أدبارها روثا ويذهب ولا يبقىٰ له أثر ، ومنهم من تأكله الحيتان ، ومنهم من يحترق في النار فيصبح رمادا ، إلىٰ غير ذلك من أنواع الميتات والهلكات ، فلا يتناول القيام لرب العالمين من مات فقُبر ؛ بل الجميع يقومون لرب العالمين ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ؛ الكل يُجمعون لرب العالمين ويبعثون للجزاء والحساب .

---

(٣٠) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢) ، والترمذي (٢٢١٩) ، .

فالإيمان باليوم الآخر والإيمان بالبعث هو إيمان بكل ما يكون بعد الموت ، أولاً ما يكون في القبر من فتنة وعذاب ونعيم ، ثم القيام لرب العالمين والحشر والدواوين والصراط والجنة والنار إلىٰ غير ذلك من التفاصيل ، فهذه الإيمان بها أصل لا بد منه ولا قيام للدين إلا عليه ، ولهذا يأتي في أحاديث كثيرة ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) فليفعل كذا أو ليقل كذا ؛ لأن الدين يبنىٰ علىٰ هذه الأركان .

قال هنا ((**أي الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان**)) يعني أي الدين أفضل ؟ قال الإيمان ، ومعلوم أن هذه الأمور مكانتها أعظم من الأعمال الظاهرة ، لأنها الأساس الذي تبنىٰ عليه الأعمال الظاهرة ، ولهذا لما قال هذا السائل ((**أي الإسلام أفضل ؟**)) قال : ((**الإيمان**)) ، قال ((**وما الإيمان ؟**)) قال ((**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت**)) .

هذا ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يزيننا أجمعين بزينة الإيمان ، وأن يحيينا مسلمين ، وأن يتوفانا مؤمنين ، وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا ، وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، والموت راحة لنا من كل شر ، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنه تبارك وتعالىٰ غفور رحيم .